مفهوم النص بين الخطاب الديني واللسانيات

م. د. زهراء صباح يوسف

جامعة القادسية / كلية التربية/ قسم اللغة العربية

zahraa.sabah@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٥/٥

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٦/٩

الملخص:

يكاد يكون مصطلح (النص) من المصطلحات التي يمكن جعلها مع مصطلحات المشترك اللفظي؛ لاتفاق لفظه واختلاف معناه باختلاف استعماله، والحقل المعرفي المستعمل فيه؛ فهو في الخطاب الديني غيره في اللسانيات ، وهما مختلفان أيضاً عن بعض معانيه اللغوية التي ذكرتها المعجمات ؛ ففي الخطاب الديني نُظر إلى النص كمنقول أو مادة وصلت إلينا من دون البحث _على حد اطلاع البحث_ في مفهوم النص نفسه وما يمكن أن يدخل فيه أو يخرج عنه أو المعايير التي جعلت من هذه المادة نصاً وأخرجت غيرها عن أن تكونه، وهو ما يبحثه ويشير إليه مفهوم النص في اللسانيات، ولذلك كانت فكرة البحث تقوم على معرفة مفهوم المصطلح هذا بين الخطاب الديني واللسانيات مسبوقين بتوطئة في مقاربة المفهوم في التراث .

الكلمات المفاتيح: النص، الخطاب، الخطاب الديني، اللسانيات

The Concept of Text in Religious Discourse and Linguistics

Lec.Dr . Zahraa Sabah Yusuf

University of Al-Qadisiyah / College of Education / Department of Arabic Language

zahraa.sabah@qu.edu.iq

Date received: 5/5/2026
Acceptance date: 9/6/2026

Abstract:

The term "text" can almost be classified among polysemous terms, as its form is unified while its meaning varies according to its usage and the cognitive field in which it is employed. Thus, it carries a meaning in religious discourse that differs from its meaning in linguistics, and both differ from some of its lexical meanings recorded in dictionaries.

In religious discourse, the text has been viewed as a transmitted entity or material that has reached us without—according to the scope of this study—examining the concept of the text itself, what may be included within it or excluded from it, or the criteria that render this material a “text” while excluding others from being so. These issues are precisely what the concept of text in linguistics investigates and points to.

Accordingly, the idea of this research is based on identifying the concept of this term within both religious discourse and linguistics, preceded by a preliminary discussion that approaches the concept within the intellectual heritage.

Keywords : Text, Discourse, Religious Discourse, Linguistics

توطئة: مقاربة لمفهوم النص في التراث:

إنّ الناظر في المعجمات العربية التي تناولت مفردة النّص يجد لهذه المفردة معانيَ متعدّدة تراوحت بين السّير الشديد والانتهاء والبلوغ والرفع، ثم تطورت دلالة هذه المفردة إلى إسناد الكلام ورفعه إلى منشئه الأصل، وذلك ما تكشف عنه متابعة بعض المعجمات، نحو ما ورد في تاج اللغة وصحاح العربية، قوله: "قولهم: نصصت ناقتي ، قال الأصمعي: النصُّ السير الشديد حتى يستخرج أقصى ما عندها . قال: ولهذا قيل نصصتُ الشيءَ: رفعته . ومنه مِنَصّة العروس . ونصَصتُ الحديث إلى فلان ، أي رفعته إليه ..."[١].

وجاء في أساس البلاغة لجار الله الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) قوله: "الماشطة تنصّ العروس فتقعدها على المِنَصّة , وهي تنتصّ عليها ، أي ترفعها ، وانتصّ السنام: ارتفع وانتصب ..."[٢]. أما ابن منظور فقد شهد مفهوم (النص) على يديه تطوراً جعله يقترب من المعاني الاصطلاحية، قال بعد أن ذكر المعاني السابقة: "النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر ، والنص التوقيف ، والنص التعيين على شيءٍ ما ..."[٣].

ولعلّ هذه المعاني التي ذكرها ابن منظور في النص السابق لا تبتعد كثيراً عمّا قرّ فيما بعد من معانٍ اصطلاحية ، نحو ما نجده عند ذكر الشريف الجرجاني حدّ النص، قال: "النص: ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلّم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: (أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمّي) كان نصاً في بيان محبته"[٤]. وقال أيضاً: "النّص: ما لايحتمل إلّا معنى واحداً ، وقيل: ما لا يحتمل التأويل"[٥]. وبذلك قال أبو البقاء الكفوي في الكليات، في سياق بيان معاني مفردة (النص): "نقل في الاصطلاح إلى الكتاب والسنة وإلى ما لا يحتمل إلّا معنى واحداً ... والنص قد يطلق على كلام مفهوم المعنى سواء كان ظاهراً أو نصاً أو مفسراً اعتباراً منه للغالب لأنّ عامة ما ورد من صاحب الشريعة نصوص"[٦].

وهكذا يمكن القول: إنّه من خلال المعاني التي ذُكرت والتي نَحسب أنها تُغني عن إيراد الكثير من الآراء أو المصادر الأخرى أنّ ثمة صلة بين المعاني اللغوية من الارتفاع والظهور والمعاني الاصطلاحية للنص ولا سيما في التراث العربي بغض النظر عن تفصيل هذه المعاني بين الخاطابات الدينية واللسانية والتي سيكشف عنها البحث لاحقا إن شاء الله.

أولا: مفهوم النص في الخطاب الديني:

يمثّل الخطاب الديني الأداة أو المظهر الذي يميز ثالث اللغة، والسلطة، أعني بذلك الدين، هذا المثلث الذي لا ينفك أحد أضلاعه عن الضلعين المتبقيين من القِدم ، فلا وجود للغة من غير متكلمين يحيونها وذوات يستعملونها الذين هم بحاجة بطبيعة الحال إلى دين ومجموعة قواعد وقوانين تضبط مسار حياتهم ، ولمّا كانت المعجزة الخالدة التي رافقت ديننا الحنيف هي نص لغوي ، فلا بد لفهمه إذن من فهم لغته أولاً وهذه اللغة ليست مجرد مفردات وتراكيب ، وإنّما تحمل رؤيا معيّنة للإنسان والحياة والكون[٧] وقد وصف نفسه هذا النص بأنّه ﴿**قُرْآناً عَجَباً**﴾ (الجن:١) والذي يطالع القرآن الكريم يجد أنّ هذا العجب لا يقتصر على لغته وحدها ، بل أيضاً من حيث إجابته على أسئلة الوجود والأخلاق والمصير ... إلخ[٨] .

ولعلّ البحث في مفهوم النص في الخطاب الديني يكشف عن بعض خصائص الثقافة العربية الإسلامية في جانبها التراثي التأريخي ، وإذا كانت الثقافة تمثّل الذاكرة الجمعية للجماعة ، فليست الذاكرة إلّا مجموعة من النصوص المحددة للقيم والأعراف وأنماط السلوك ومعايير الخطأ والصواب[٩]، وفي ثقافة احتل النص الديني فيها _وما يزال_ مركز الدائرة، غدا الكشف عن مفهوم النص _في الخطاب الديني_ كشفاً عن آليات إنتاج المعرفة بلحاظ أنّ النص الديني صار النص المولد لكل أو _لمعظم_ أنماط النصوص التي تختزنها الذاكرة الثقافية[١٠].

ومع أنّ الخطاب الديني يتفق على أنّ النصوص الدينية قابلة لتجدد الفهم واختلاف الاجتهاد في الزمان والمكان ، لكنّه لا يتجاوز فهم الفقهاء لهذه الظاهرة ولذلك يُقصرها على النصوص التشريعية، دون نصوص العقائد أو القصص[١١] "وعلى هذا التحديد لمجال الاجتهاد يؤسس الخطاب الديني لمقولة صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ويعارض إلى حد التكفير الاجتهاد في مجال العقائد أو القصص الديني"[١٢]، وكأنهم رأوا أنّ النّظر والاجتهاد في هذا الضّرب من النّصوص يُفقدها الترابط الدلالي الذي تؤكده الوحدة المعنوية لكل نص[١٣].

ويمكن القول: إنّ أكثر العناصر التي تفتح المجال لدخول خارج النص في فهمه وتأوله هي أساب النزول بكل ما يتصل بها من قرائن ومعطيات ، ومع ذلك فلا تُعطى السلطة أو المشروعية التي تسمح لها بالبحث عن المظاهر التي تنعكس بها في داخل النّص[١٤]؛ "فمبحث أسباب النزول ليس مبحثاً (مرآوياً) يجري

فيه رصد الأشكال التي تنعكس بها في النص معطياته وعناصره الخارجية. إنّه مبحث يتولى صياغة المعايير التكوينية التي بمقتضاها يتوصل المفسر إلى فهوم وجيهة مقبولة للنص القرآني"[١٥].

ذكر الشيخ الطريحي(ت:١٠٨٥هـ) أنّه قد "صح عن النبي صلى الله وآله والأئمة عليهم السلام إن تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح والنص الصريح، قال: والنص في اصطلاح أهل العلم هو اللفظ الدال على معنى غير محتمل للنقيض بحسب الفهم"[١٦].

فتفسير النص القرآني إذن وكما ورد في الحديث المذكور لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح والنص الصريح، وأمّا التفسير بالرأي أو من غير المحدّدَين السابقين (الأثر الصحيح والنّص الصريح) فقد نُظر إليه على أنّه تفسير غير موضوعي "لأنّ المفسر لا يبدأ من الحقائق التأريخة والمعطيات اللغوية ، بل يبدأ بموقفه الراهن محاولاً أن يجد في القرآن (النص) سنداً لهذا الموقف"[١٧].

وقدّم السيوطي صورة بليغة في موضع الاعتراض على مانعي الاجتهاد مصوراً حالهم عند سماع ذكر الاجتهاد، قال: "ممّن إذا سمع بذكر الاجتهاد الذي هو من آكد فروض الشريعة، تعجّب منه وعدّه من المنكرات الفظيعة الله أكبر!! نزُر العلم وغزُر الجهل، وتكلم من ليس للخطاب بأهل ، وممّن إذا رُوي له حديث ، لم يفرق بين الموقوف والمرفوع ولا بين الموصول والمقطوع ولا بين الصحيح والموضوع"[١٨].

وهكذا يمكن القول إذن: إنّ الميزة التي انماز بها النص في الخطاب الديني سواء أكان قرآنا أم غيره هو عدم الاجتهاد أو النظر (الشخصي) ولعلّ خير ما يمثل ذلك هو القول المعروف (لا اجتهاد أمام النص) .

ثانياً: مفهوم النص في اللسانيات:

شكّل مفهوم النص في الاصطلاح اللساني مفهوماً متعدد الاصطلاح والحدّ ، وذلك بتعدد التوجهات المعرفية والنظرية والمنهاجية المختلفة ، وعليه فإنّ الاختلاف حول ماهية النص يكمن أساساً في اختلاف التصور ولذلك تعددت تعريفاته بتعدد وجهات النظر ، وما ذلك إلّا لأنّ لسانيات النص عُدّت فرعاً علمياً متداخل الاختصاصات من جهة، كما عُدّت علماً يركّز على النّصوص في ذاتها وفي أشكالها وقواعدها ووظائفها من جهة أخرى، فهي تعريفات تميل إلى خلق حالة منسجمة من النظام والتشاكل والتماثل بين مختلف المستويات

الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية للنص[١٩]. وبناء على ذلك حاول بعض العلماء تعريفه وتمييزه من غيره معتمدين على المكوّنات والعناصر التي يتألف منها من دون أن يعني ذلك استقلال الأجزاء "بل تظل العلاقات القائمة بين هذه الأجزاء والوحدة الكلية موضوعة باستمرار نصب عين الباحث في النص؛ لأنّ عمله هو كشف الأبنية الدلالية الكبرى العميقة التي تكمن في أعماقه، وتسمح له أن يحدّدها من خلال الأبنية التركيبية المتشكّلة على السطح"[٢٠] .

ورغم أنّ النقطة الأساسية في هذا العلم وفي نظر الباحثين إليه هي أن يُنظر إليه ككل فما يزال الخلاف شديداً بينهم حول طبيعة النص الأساسية: من جهة أنّه هل يجب أن يكون النص بناءً معقّداً أم أنّه يمكن أن يكون بناءً بسيطاً أيضاً؟ يذهب برنكر مثلاً في تحديده للنص إلى أنّه تتابعٌ مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أنّ الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز إلى النّص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب[٢١].

وما يفهم من هذا التعريف أنّ ثمة علاقة بين جزء وكل تتجسد في علاقة الجملة بالنص[٢٢] .

ويعبر عن هذا الترابط وهذه العلاقة بوضوح التصور التوليدي_التحويلي فيعرف النص "بأنّه تتابع متماسك من الجمل ، غير أنّ هذا يعني أنّ الجملة كما كانت الحال من قبل ينظر إليها على أنّها (مَعْلَم رئيسي) في تدرج وحدات لغوية ، أي تعد وحدة بناء النص"[٢٣].

أمّا ديبو غراند فعرّف النص بأنّه "تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال ويُضاف إلى ذلك ضرورة صدوره (أي النص) عن مشارك واحد ضمن حدود زمنية معينة وليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها فقد يتكون النص من جمل أو كلمات مفردة أو أية مجموعات لغوية تحقّق أهداف الاتصال"[٢٤].

وقد عُدّ تعريفه هذا شاملاً لأغلب أو كل تعريفات النص على اختلافها*خاصة بعد تقديمه للمعايير التي يكون بها الكلام نصاً وهي (السبك والحبك والقصدية والتقبلية والإعلامية والمقامية والتناص) ولكل من هذه المعايير اتصال مع بعض عناصر العملية التواصلية فمثلا السبك والحبك لهما صلة وثيقة بالنص نفسه ، أمّا القصدية والتقبلية فيتصلان بمستعملي النص منتجين ومتلقين وأمّا الإعلامية والمقامية والتناص فيتصلان بالسياق المحيط بالنص ، فمثلاً الحالة المعلومية والحالة الانفعالية وكذا الحالة الاجتماعية لمستعملي النص

عرضة للتغير ويأتي إنتاج النص وفهمه في صورة توالٍ من الوقائع ؛ ولذلك فالأعراف الاجتماعية تنطبق على النصوص[٢٥] .

وهكذا يبدو أثر المحيط الخارجي جلياً في مفهوم النص بالنسبة إلى الخطاب اللسانيّ على عكس ما مرّ في الخطاب الديني الذي يمنع ويتجاهل كل شيء على حساب النص ، بينما النص في التصوّر اللساني يتأثّر بالأعراف الاجتماعية والعوامل النفسية وبموقف وقوع النص بوجه خاص ، من غير إغفال لضوابط المشاركين والمستقبلين على حد سواء فيستند بحسب ذلك استغلال النص إلى معرفة خبرات بوقائع فعلية خاصة[٢٦].

الخاتمة:

بعد الفراغ بحمده تعالى من محاولة الوقوف على مفهوم النص في المخطاب الديني واللسانيات ، يطيب لي ذكر ما تمخض عنه البحث ولربما يصح أن يُلخّص في:

- إنّ الاتجاه الديني يرى النص مغلقاً ولا سبيل لمزيد من الاجتهاد فيه، يبقى متوقفاً على منشئه الأول من غير تعديل أو تغيير ، وأما الاتجاه اللساني فبخلافه إذ يسمح بتأثير المحيط الخارجي في داخل النص بل يعد ذلك معياراً مهماً من معايير نصية النص من عدمها، نحو معايير الإعلامية والمقامية والتناص.
- حين يُذكر النّص في الخطاب الديني، فإنّ ما يتبادر إلى الأذهان من هذا الذكر هو نص (دينيّ) معلوم معروف، سواء كان قرآنياً أم نبوياً أو ما يمكن أن يندرج معهما من نصوص يمكن الوثوق بها والاطمئنان إليها، نحو النّصوص الإماميّة، ونصوص بعض السلف الصالحين، أمّا ذكر النّص في اللسانيات، فممّا يشير إليه أو يفهم منه أنّه شكلاً (خارجيّاً)، ومحدّداً (داخلياً) أيضاً، تدخل فيه مجموعة من الجمل (أية جمل) والمفردات، وتشكّله، من دون تعيين صريح لهذه الجمل أو جهة إصدارها.

هوامش البحث:

(١) تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (نصص): ٣/ ١٠٥٨

(٢) أساس البلاغة ، مادة (نصص): ٢ / ٢٧٥

(٣) لسان العرب ، مادة (نصص): ٧ / ٩٨ .

(٤) التعريفات: ٢٠٢ _ ٢٠٣ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٠٣ .

(٦) الكليات: ٩٠٨ .

٧. ينظر: النص القرآني وآفاق الكتابة: ٢٠.

٨. ينظر: المصدر نفسه: ٢٢ .

٩. ينظر: مفهوم النص : ٩٩

١٠. ينظر: المصدر نفسه: ١٠٠

١١. ينظر: نقد الخطاب الديني : ١١٨ .

١٢. المصدر نفسه: ١١٨ .

١٣. ينظر: النص وآليات الفهم: ٢٠٩ .

١٤. ينظر: النص وآليات الفهم في علوم القرآن: ١٩٥ .

١٥. المصدر نفسه: ١٩٥ .

١٦. مجمع البحرين : ٤ / ٣٢١ .

١٧. الهرمنيوطيقيا ومعضلة تفسير النص : ١٤٢ .

١٨. مقدمة السيوطي لحاشيته على تفسير البيضاوي المسماة نواهد الأبكار وشوارد الأفكار:٦٩٥_٦٩٦ .

١٩. ينظر: اللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي: ٤٥.

٢٠. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٠١ .

٢١. ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٠٣ .

٢٢. ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣ .

٢٣. التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: ٢٤ .

٢٤. مدخل إلى علم لغة النص: ٩ .

* استُغني عن بقية التعريفات زعماً بكفاية المذكور منها ومنعا للتوسع مع ضيق المقام .

٢٥. ينظر: النص والخطاب والإجراء:٩٢ .

٢٦. ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ١٠ _ ١١ .

مصادر البحث ومراجعه:

ـــ القرآن الكريم

- أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن بن أحمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) ، تح: محمد باسل عيون السود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان، ١٩٩٨ .
- تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، تح: أحمد عبد الغفور عطّار ، ط٤ ، دار العلم للملاين ، بيروت _ لبنان ، ١٩٩٠ .
- التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، كلاوس برينكر، ترجمه وعلق عليه: أ.د. سعيد حسن بحيري ، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
- التّعريفات ، علي بن محمّد الشّريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة محمّد صدّيق المنشاوي ، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير، القاهرة، دط، د.ت.
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، ط١، دار نوبار للطباعة القاهرة ، مكتبة ناشرون لبنان، ١٩٩٧ .
- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ) ، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: د عرفان درويش و محمد المصري ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت _ لبنان، ١٩٩٨ .
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر بيروت ، د ط ، د ت .
- اللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي، فاضل ثامر، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ١٩٩٤ .
- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت:١٠٨٥هـ) ، تح: أحمد الحسيني ، ط٢، مكتب النشر الثقافة الإسلامية ، ١٤٠٨هـ .
- مدخل إلى علم لغة النص، روبرت ديبوغراند ، ولفغانغ دريسلر ، إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد ،ط١، مطبعة دار الكاتب ، ١٩٩٢.
- مفهوم النص ، د. نصر حامد أبو زيد ، بحث منشور في مجلة إبداع ، ع ٤، ١ أبريل ١٩٩١ .

- مقدمة السيوطي لحاشيته على تفسير البيضاوي المسماة نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، حقق النص وقدم له وعلق عليه: د. عبد الإله نبهان ، مجلة اللغة العربية بدمشق ، مج٦٨ ، ج٤ ، تشرين الأول ١٩٩٣ .
- النص القرآني وآفاق الكتابة ، أدونيس ، دار الآداب ، بيروت.
- النص وآليات الفهم في علوم القرآن دراسة في ضوء التأويليات المعاصرة ، د. محمد الحيرش ، تقديم: أ.د. عبد السلام المسدي ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت _لبنان ، ٢٠١٣.
- النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة: د. تمّام حسّان ، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨ .
- نقد الخطاب الديني ، د. نصر حامد أبو زيد ، ط٢ ، سيتا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- الهرمنيوطيقيا ومعضلة تفسير النص ، د. نصر حامد أبو زيد ، بحث منشور في مجلة فصول ، ع٣ ، ١أبريل ١٩٨١ .